الرقم الدولي المعياري للمؤتمر (معتمد ومصنف دوليًا) ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية

الخطابُ الديني في وسائل الإعلام الجديد: التحوّلات اللّغوية وتأثيرها على البنية القيمية للمجتمع

The Religious Discourse in New Media: Linguistic Transformations and Their Impact on the Value Structure of Society

د. الحسن الوزاني/عضو الهيئة التدريسية جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية أبو ظبي.

المقدمة

لم يكن الخطاب الديني يومًا خطابًا ساكناً أو معزولاً عن تحولات الزمن وأدواته، بل كان وما يزال كائناً حياً، يتشكل وفق منطق السياق الاجتماعي واحتياجات التلقي. ومع التحول الجذري الذي أحدثته الثورة الرقمية، والمتداخل الحثيث بين الثقافة والتقنية، وجد هذا الخطاب نفسه أمام تحول جذري.

حيث كان الخطاب الديني في السابق يُمارس ضمن حدود المساجد وفي مرافق المؤسسات التقليدية، قد دخل الآن مجالات المنصات الرقمية، ولم يعد يتم قياس قوته باستخدام الحجج العقلانية أو المصداقية العلمية، بل من خلال التفاعل، والوصول، والانتشار.

ولم يكن هذا التحول في الوسيط تغييرًا شكليًا فحسب، بل مسَّ **جوهر اللغة ذاتها**. وهذا يشكل تحولًا في هيكل اللغة، وأهدافها، وحتى أدوات تداول الكلمات. والاعتماد الزائد على اللهجات المحلية، تقليص المسافة بين البيان ورد الفعل، القيمة الأساسية القائمة على التأثير المدفوع بالعواطف.. وهكذا، لم يعد الدين يخدم كإطار مفاهيمي، بل يعمل على الاستسلام لخوارزميات الإعلام (Media Algorithms)

.

هنا تكمن أهمية هذا البحث، الذي يحاول دراسة هذه التحولات من منظور سيميو-براغماتي، من أجل كشف تأثيرها على هيكل القيمة للتراث في خطابات الدين السيبراني، وعواقبها التعليمية والمعرفية في سياق مجتمع استهلاكي ميال إلى الامتصاص السطحي للمعلومات.

وتناقش الورقة إشكالية مركزية وهي: إلى أي حد أثّرت التحوّلات اللغوية (Linguistic Transformations) المصاحبة للخطاب الديني في البيئة الرقمية على فعالية هذا الخطاب في نقل القيم العقدية والأخلاقية؟

فرغم الجهود المتواصلة في هذا الجانب خلال الدراسات المعاصرة التي تناولت العلاقة بين الدين والإعلام (Religion and Media)، إلا أن جلها انشغل بالجوانب الاتصالية العامة أو الأبعاد التأثيرية، دون البحث في دراسة وتحليل البنية اللغوية (Linguistic Structure) أو رصد واستكشاف أثر الوسيط الرقمي على الإنتاج الدلالي (Meaning Production) للخطاب. وهنا تتبدّى الفجوة البحثية التي تسعى هذه الدراسة إلى سدّها. وللإحاطة بجوانب هذه الظاهرة المعقّدة، تتوزّع الورقة على **أربعة محاور:**

- **الأول: التغيرات اللغوية ضمن سياق الخطاب الديني المعاصر وبيئته الرقمية.**
- **الثاني: أثر الوسيط الرقمي على إنتاج القيم الدينية**
- **الثالث: اللغة الدينية بين البلاغة التقليدية والجاذبية الإعلامية**
- **الرابع: نحو معايير لغوية لخطاب ديني قيمي في البيئة الرقمية**

فتهدف هذه الدراسة إلى استكشاف الخطاب الديني المعاصر من منظور متوازن يعترف بالواقع الرقمي المعاصر، ولا يساوم على مبادئ اللغة، وتهدف إلى صياغة رؤية جديدة تسعى لتحقيق توازن بين بلاغة النصوص ومنطق المنصات، بين جمالية اللغة ومتطلبات الوسيط الرقمي.

المحور الأول: التغيرات اللغوية ضمن سياق الخطاب الديني المعاصر وبيئته الرقمية.

لقد شهدت البيئة الرقمية تحولاً كبيرًا ضمن سياق الخطاب الديني المعاصر. هذا التحول لا يقتصر فقط على وسائل التعبير والتواصل، بل أيضًا على الهيكل الأساسي للخطاب الديني نفسه. هذا التحول هو نتيجة للخصائص الجديدة للخطاب الديني، الذي يعتمد على مبادئ الضغط والتفاعل الفوري والاستقبال والفهم السريع. هذه هي السبب الأساسي وراء إعادة هندسة منتجي الخطاب الديني للغة وإطارات التعبير لمواكبة هذه التغيرات.

1. مفهوم الاختزال والتبسيط

لقد أفرزَ الوسيطُ الرقميّ نوعا من الاختزال اللغوي، إذ: تقديم المفاهيم الفقهية أو العقدية في عبارات مباشرة وقصيرة. يختلف هذا عن طبيعة المفاهيم الدينية، إذ تفرط في تبسيط شيء يحتاج سياقا بيانيا متماسكا. يقول ابن جني: "إنما كانت العرب تطيل، لأن الفصاحة لا تُنال مع الاختزال دائما..."[1]

تشيرُ دراسةُ روجي ديبري "ميديولوجية الأديان" (2001) إلى أنه في إطار التبسيط، التغير في الكلام على الأديان لدى الناس، يخدم سلطة الكتابة، بديلا عن الأفكار.

2. الاقتباس الضعيف والقراءة الحرفية للنصوص

إحدى الأعراض الملحوظة التي تبرز وتقلق في سياق الخطاب الديني الذي يحدث في الفضاء الرقمي هي نقص الاهتمام بتوثيق النصوص الدينية من حيث تقديم مرجع المصدر وأيضًا سياق المناقشة. وغالبًا ما تُعرض النصوص بشكل عامي وشعبي وبسيط دون اعتبار للمصدر الأصلي أو سياق حدوثه. هذا انحراف مباشر عن متطلبات الدقة في التوثيق العلمي، وهو أساس النقل الدقيق. هذا النوع من الانحراف ليس مجرد انتهاك منهجي، بل يفتح ثغرة جديدة لعواقب خطيرة تتعلق بالفهم والتفسير.

---

[1] ابن جني، الخصائص، ج1، ص176.

كما أشار الخطيب البغدادي، سمعت عبد الله هو ابن المبارك يقول: **" الإسناد عندي من الدين."**[2]

وأكد الإمام مسلم، إن غياب السيطرة في الرواية خطر، فقال: "لا يروي الطالب إلا أن يعرف السند وأن يكون النقل صحيحاً."[3]

تظهر مخاطر نقص التوثيق بشكل أكثر وضوحًا عندما يتم استغلال هذه الثغرات من قبل المتطرفين الذين يقتبسون خارج السياق، مفسرين النصوص بطرق جذرية تماماً ومخالفة لروح الشريعة. إن نقص المعرفة الكافية بأساليب القراءة فوق النصوص، وبعد الجماهير عن علم المقاصد، يمكّن هذه الرياح من التسلل عبر المحتوى الرقمي الذي يفتقر إلى الإشراف والمحاسبة؛ وكما قال الإمام مالك بن أنس بقوله: "ن هذا العلم دين، فانظروا عن من تأخذون دينكم"[4] (هذه تذكرة بأن المعرفة غير الموثقة تفسد العقيدة قبل أن تفسد المعلومات.

هذه العلة تقوض روح الشريعة نفسها، التي تعتمد على الرحمة والتيسير والأهداف المقصودة من العدالة والحكمة. النصوص يجب أن تُقرأ في سياقها، وإذا تم تقديمها دون أطر تحليلية راسخة، فإنها تفقد وظيفتها التصحيحية المقصودة وتصبح أدوات للإقصاء أو التحريض.

لذا، فإن توثيق النصوص ليس مجرد إجراء أكاديمي؛ بل هو إجراء قانوني وأخلاقي للوقاية من انزلاق الخطاب نحو الفوضى، ووسيلة حماية ضد الانحراف خارج الحدود الحامية للإرشاد نحو الانحراف والانزلاق إلى العنف والمزاعم الخاوية.

3. النزوح من الفصحى إلى العامية

---

[2] الكفاية في علم الرواية. 1ج ص3.

[3] مقدمة صحيح مسلم. ص25.

[4] جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، ج. 2، ص. 91.

بات استعمال العامية بارزا في الخطاب الديني الرقمي، خاصة في المقاطع المرئية القصيرة التي تنتشر على منصات مثل "بودكاست" و"تيك توك" أو "إنستغرام"... بيد أن هذا النهج الجديد يمكن من تقريب الرسالة من الجمهور، إلا أنه يهدّد بفقدان المرجعية اللغوية للدين، التي تأسست عبر القرون على الفصحى، لغة القرآن والسنة. كما يقول ابن جني في الخصائص: "فكأن العرب إنما تحلى ألفاظها وتدبجها وتشيها وتزخرفها عناية بالمعاني التي وراءها وتوصلا بها إلى إدراك مطالبها وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "إن من الشعر لحكمًا وإن من البيان لسحرًا". فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقد هذا في ألفاظ هؤلاء القوم التي جعلت مصايد وأشراكًا للقلوب وسببًا وسلمًا إلى تحصيل المطلوب عرف بذلك أن الألفاظ خدم للمعاني والمخدوم -لا شك- أشرف من الخادم"[5].

يقول الزجاج: "الفصاحة شرط في البيان الديني، لأنها أقرب إلى الإفهام وأبعد عن التأويل[6].

ويُظهر التحليل اللساني الاجتماعي أن انتقال الخطاب من الفصحى إلى العامية يؤثر على تمثّل القيم المستبطنة في اللغة[7]

4. تآكل إطار الخطاب الكلاسيكي

يمتاز الخطاب الديني التقليدي المنهجي بهيكل واضح يتضمن: مقدمة، عرض، مناقشة، وخاتمة تربوية. مع ظهور الخطاب الرقمي، هناك ميول واضحة نحو استخدام الاقتباسات المجزأة والقصيرة التي تهدف إلى الانتشار السريع. وقد أدى ذلك إلى تفكك الخطاب، وفقدان الروابط بين الأدلة والأهداف المقصودة. ويؤكد الفراء على أهمية الترتيب في الأدلة، قائلاً: "الترتيب هو أساس البلاغة، ولا يمكن أن يوجد المعنى بدونه."[8]

---

[5] ابن جني، الخصائص، ج1، ص176.

[6] الزجاج، معاني القرآن، ج1، ص15.

[7] راجع: Ferguson, Charles, “Diglossia,” Word, 1959.

[8] الفراء، معاني القرآن، ج1، ص43.

كما يوضح بارت، أن شكل النص له تأثير مباشر على معنى الرسالة. الشكل ليس مجرد أسلوب. الشكل ليس مجرد أسلوب، بل هو تحول في المعنى والنية[9]

5. لغة الجذب كأداة، بدلاً من كونها وعاء للمعرفة

يهيمن التركيز على الجذب البصري والسمعي على محتوى اللغة في الخطاب الديني الرقمي. وهذا واضح من خلال الاستخدام الكثيف للتأثيرات البصرية، ونبرة التمثيل، وضغط المعرفة. ونتيجة لذلك، فإن دور اللغة كوعاء للمعنى والنص المقدس للعقل ضعيف. يعلق أبو حيان التوحيدي على الأمر، قائلاً: "عندما تُنزع عمقها، تصبح اللغة صوتًا خاليًا من الرسالة"[10].

يصرح كريستيان ميتز، عالم الدلالات، قائلاً: "إن الوسيط التكنولوجي لا يغير فقط محتوى الرسالة، بل أيضًا قيمتها كعلامة، وهيكل إدراكها". كما يؤكد: "إن الوسيط التكنولوجي لا يغير فقط محتوى الرسالة، بل أيضًا قيمتها كعلامة، وهيكل إدراكها"[11]

المحور الثاني: أثر الوسيط الرقمي على إنتاج القيم الدينية

لم يعد الخطاب الديني في الوسائط الرقمية مجرد امتداد تقني لوسائل الدعوة التقليدية، بل تحوّل إلى بنية إنتاجية مستقلة تعيد تشكيل مضامينه، ومن بينها المنظومة القيمية التي طالما شكّلت جوهر رسالته. ففي ظل منطق الوسيط الرقمي (Digital Medium Logic)، لم تعد القيم تُقدّم بوصفها مبادئ مترسخة مستندة إلى الوحي، بل أصبحت تُعاد صياغتها وفق منطق السرعة، والتفاعل، وقابلية الانتشار (Virality)، حيث تتحوّل الاستجابة العاطفية الآنية إلى المعيار الأهم لقياس فاعلية الخطاب.

---

[9] راجع: بارت، رولان، "متعة النص"، سوي، 1973.

[10] أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص119.

[11] ميتز، كريستيان، "اللغة والسينما"، لاروس، 1971.

وهذا التحوّل لا يقتصر على أسلوب العرض، بل يمتد إلى بنية القيم نفسها، حيث تتعرض للمراجعة، وإعادة الترتيب، وأحيانًا للتسطيح أو التحريف غير المقصود، تحت ضغط الوسيط وطبيعة الجمهور.

1. إعادة ترتيب سُلَّم القيم

شهد الخطاب الديني الرقمي في السنوات الأخيرة تحولًا ملموسًا في سلم القيم التي يُبرزها ويتبناها. فالقيم التربوية العميقة – كالنية، الإخلاص، الزهد، التقوى – تراجعت إلى خلفية المشهد، بينما تقدّمت قيم أكثر شعبية وجاذبية، مثل التحفيز الذاتي، والطاقة الإيجابية، وتحقيق النجاح، والانضباط المالي، والعلاقات الاجتماعية.

وهذا لا يعكس مجرد تحوّل خطابي، بل إعادة صياغة نفسية ومعرفية للرسالة الدينية، حيث تُغيب المقاصد الباطنة لصالح المكاسب الظاهرة، ويُعاد إنتاج القيم في صورة شعارات سريعة الاستهلاك بدل أن تكون معاني للتزكية والتكوين.

فوسائل التواصل الاجتماعي – بما تحمله من طبيعة تفاعلية سريعة – تُرغِم الخطاب الديني على أن يُبسّط ويختصر ويتكيّف، حتى ولو كان ذلك على حساب عمق المعنى وشمولية البناء التربوي. وهنا تكمن خطورة الموقف؛ إذ يُخشى أن تتحول الرسالة من "هداية" إلى "محتوى محفّز"، ومن "بلاغ" إلى "تسويق قيمي" يُرضي الجمهور، لكنه لا يُربّيه.

أشار الإمام الغزالي إلى هذا الخلل بدقة، حين قال: "من لم يعرف درجات المعروف، كان ما يفسده أكثر مما يصلحه"[12].

في تبيانٍ لخطورة قلب ترتيب القيم، وتقديم المفضول على الفاضل، والوسيلة على الغاية.

---

[12] إحياء علوم الدين، ج2، ص211.

ويؤكّد هذا المعنى بيير بورديو في تحليله لرأس المال الرمزي، موضحًا أن الوسائط الحديثة تُعيد تشكيل القيم وفق منطق السوق، لا وفق مبدئية الرسالة: "La logique médiatique redistribue le capital symbolique selon les règles du marché, non selon la vérité." (Bourdieu, La distinction, 1979).

ومن ثمّ، فإنّ الخطر الحقيقي لا يكمن فقط في فقدان بعض القيم، بل في إعادة بنائها بصورة هشة ومفرغة من سياقها الشرعي والتربوي، مما يهدد بفقدان الخطاب الديني لهويته التأويلية والروحية، ويحوّله إلى خطاب وظيفي سطحي لا يربّي الوجدان، ولا يرقّي الفهم.

2. تغيّر طريقة تقديم القيم

في الوسائط التقليدية، كانت القيم تُقدَّم ضمن سياقات تفسيرية موسّعة، تستند إلى آيات، وأحاديث، وأمثلة تاريخية. أما في المنصات الرقمية، فتُقدّم القيم غالبًا في صيغ شعاراتية (slogans) أو جمل معزولة، ما يُضعف تماسكها المفاهيمي، ويجعلها قابلة للتأويل السريع أو التسطيح. يقول ابن عاشور في تفسيره: "البيان لا يكتمل إلا بقرائن السياق، والاقتطاع يخلّ بالفهم"[13].

وتؤكد الدراسات التداولية أن نزع القيمة من سياقها النصي يُفضي إلى تحوّلها من مبدأ إلى عبارة، ومن معيار إلى انطباع[14].

3. القيم في خطاب الصورة والرمز

أدى اعتماد الخطاب الديني الرقمي على الصورة، والفيديو، والإيقاع البصري، إلى تحوّل القيم من أنساق معرفية إلى رموز سيميائية تُختصر في هيئة مرئية أو نغمة صوتية. فرؤية داعية يبكي أو يتأثر

---

[13] التحرير والتنوير، ج1، ص45.

[14] راجع: Austin, J. L., “How to Do Things with Words”, Oxford, 1962.

قد تُقدَّم كدليل على "الخشوع"، دون الحاجة إلى شرح أو تفصيل. وهذا يُؤسس لنوع من الرمزية العاطفية التي قد تُغني عن الفهم العقلاني للقيمة.

وقد نبّه بول ريكور إلى خطورة هيمنة الرمز على المعنى، قائلاً: "حين تُختزل القيم في تمثيلات حسية، يفقد النص سلطته التأويلية"[15].

4. القيم والتفاعل الجماهيري

تُقاس فعالية الخطاب الديني الرقمي غالبًا بعدد الإعجابات، والمشاركات، والتعليقات. مما يجعل الرسالة الدينية تخضع أحيانًا لمزاج الجمهور أكثر من ضوابطها الشرعية أو العلمية. وقد يُعاد ترتيب القيم، أو حذف بعضها، أو التغاضي عن جدليتها، فقط لضمان الانتشار. ويشير الدكتور عبد الله بن بيه إلى هذه الظاهرة بقوله: "حين تصبح الفتوى أو الكلمة مرهونة بمزاج الجمهور، يفقد الخطاب ثباته الفقهي وأمانته العلمية"[16]

كما يذهب نيكولاس كار إلى أن بيئة الإنترنت تولّد ثقافة انتقائية سطحية تُعيد تشكيل المعاني بحسب آلية النقر لا التأمل[17].

المحور الثالث: اللغة الدينية بين البلاغة التقليدية والجاذبية الإعلامية

مثّلت اللغة الدينية عبر التاريخ الإسلامي أنموذجًا راقيًا في البيان والبلاغة (Rhetorical Excellence)، جمعت بين الفصاحة والدقة والعمق التفسيري، واعتمدت بنية خطابية متكاملة تقوم على الحجة والدليل، وتنهض بوظائف تربوية وتزكوية عميقة. فقد كانت اللغة وسيلة تهذيب، وأداة بناء، وجسرًا يصل بين النص الإلهي والواقع الإنساني.

---

[15] ابن بيه، صناعة الفتوى، ص227.

[16] Ricœur, Paul, “La symbolique du mal”, Aubier, 1960.

[17] راجع: Carr, Nicholas, “The Shallows”, Norton, 2010.

لكن مع بروز الوسيط الرقمي كأداة خطابية جديدة، ظهر ما يمكن تسميته بـالتوتر البنيوي (Structural Tension) بين مقتضيات البلاغة التقليدية، التي تقوم على التدرج والتأمل، وبين شروط الجاذبية الإعلامية (Digital Appeal)، التي تستند إلى السرعة، والإيجاز، والتأثير اللحظي. في هذا السياق، دخل الخطاب الديني في صراع غير معلن بين العمق البلاغي والانتشار الجماهيري، وبين الإقناع العقلي والاستجابة العاطفية، وهي مفارقة تعبّر عن تحوّل جذري في الوظيفة اللغوية.

1. البلاغة التقليدية كأداة تربية وتزكية

لم تكن البلاغة في التراث الإسلامي زينة لفظية أو صناعة بيانية سطحية، بل كانت جزءًا من المنهج الأخلاقي والتربوي للخطاب. فقد رأى ابن القيم أن "البلاغة الشرعية تقوم على التناسب بين المعنى والغاية، لا على زخرفة اللفظ فقط"(الفوائد، ص115)،

كما عرّفها الجرجاني بأنها "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"(دلائل الإعجاز، ص32). وهو تعريف ينطوي على بُعد تداولي دقيق (Contextual Pragmatics).

غير أن هذا النسق البلاغي يتطلب بيئة متأنية وذهنية قابلة للتأمل، في حين تفرض المنصات الرقمية إيقاعًا سمعيًا–بصريًا سريعًا لا يتيح للخطاب أن يُمارس وظائفه التفسيرية أو المقاصدية بالشكل المطلوب.

2. الجاذبية الإعلامية وسلطة الإيجاز

تخضع وسائل التواصل الحديثة لمنطق ما يُعرف بـاقتصاد الانتباه (Attention Economy)، حيث تُصاغ الرسائل وفق شروط الخوارزميات (Algorithms) التي تكافئ المقاطع القصيرة، والمثيرات السريعة، والمحتوى القابل للمشاركة. هذا ما يدفع كثيرًا من الدعاة إلى الاختزال البلاغي، وتحويل الرسائل المعقدة إلى مقتطفات سهلة الهضم، في تنازل ضمني عن البناء الحجاجي العميق.

ويُحذر Neil Postman من هذا التوجّه حين يصف عصرنا بأنه يقدّم "ثقافة المقتطف" على حساب "ثقافة المقال والتأمل" (Amusing Ourselves to Death, 1985).

وقد أدى هذا إلى ظهور خطاب هجين (Hybrid Discourse)، تتراجع فيه اللغة أمام الصورة، والعمق أمام الجاذبية اللحظية.

3. انفصال الوسيلة عن الوظيفة

في البلاغة الإسلامية، كانت الوسيلة خادمة للوظيفة، فالفصاحة وعمق اللغة كانت أدوات لتقريب المعنى وتهذيب الذهن. أما اليوم، فقد انفصلت الوسيلة عن غايتها، وأصبحت الشكلية الصوتية والبصرية جزءًا من بنية المحتوى، ولو على حساب المعنى.

وهذا ما عبّر عنه ابن خلدون في تحذيره من الافتتان بالصنعة، حيث قال: "الافتتان بصناعة الكلام قد يُذهِب المقصود من الدعوة، ويُلهي عن حقيقتها"[18].

ويؤيده في ذلك McLuhan بمقولته الشهيرة: "The medium is the message", أي أن طبيعة الوسيط تعيد تشكيل الرسالة لا محالة[19]

4. اختفاء البنية الجدلية والتفسيرية

تميّز الخطاب الديني التقليدي باعتماده على البنية الجدلية (Dialectical Structure)، واستحضار الخلاف والترجيح، وتعدد المستويات في العرض. أما الخطاب الرقمي، فقد مال إلى الخطاب التقريري الحاسم، الذي لا يتيح مجالًا للتفكير النقدي أو المقارنة، ولا يعرض الرأي والرأي الآخر، مما يُضعف القدرة التحليلية للمتلقي، ويقلّل من وعيه المقاصدي.

---

[18] المقدمة، ص467.

[19] Understanding Media, MIT Press, 1964.

لقد فقد الخطاب الديني، في كثير من صِيَغه الرقمية، أحد أهم خصائصه: كونه مدرسة عقل وروح، تُربي على الحوار، لا تُلقّن بالإملاء؛ تُقنع بالحجة، لا تفرض بالسلطة الخطابية؛ وهذا ما يجب استعادته في عصرٍ تُشكّل فيه اللغة الدينية إحدى بوابات الصراع المعرفي والقيمي.

المحور الرابع: نحو معايير لغوية لخطاب ديني راشد في البيئة الرقمية

في ظل التحوّلات المتسارعة التي يعيشها الخطاب الديني عبر الوسائط الرقمية، تبرز الحاجة الملحّة إلى بلورة معايير لغوية وأسلوبية راشدة، تحافظ على أصالة اللغة الدينية ومقاصدها، دون أن تنعزل عن مقتضيات العصر ووسائله التكنولوجية. إن تطوير هذا الخطاب لا يعني الانفصال عن مرجعيته البلاغية والشرعية، بل يستدعي تكييفه ضمن إطار يحفظ توازنه بين البلاغة والقابلية الرقمية، وبين الجاذبية المعاصرة والعمق التأويلي.

1. اللغة الفصيحة المبسطة: بين الأصالة والوضوح

ينبغي للخطاب الديني الرقمي أن يُعلي من شأن اللغة الفصيحة الواضحة التي تُراعي تفاوت المتلقين دون أن تنحدر إلى الابتذال أو العامية المفرطة. وقد أشار السيوطي إلى هذه الفكرة بقوله: "خير الكلام ما سهل لفظه، وجلّ معناه، وقلّ مجازه، ودقّ مسلكه"[20]

ويمكن الاستفادة من ما يُعرف في الدراسات الحديثة بـ"اللغة الوسطى" (Middle Arabic)، أي مستوى لغوي وسطي يُحافظ على البنية الفصيحة مع درجة من التبسيط الاصطلاحي[21]

2. العودة إلى التفسير السياقي للقيم

[20] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص271.

[21] راجع: (Versteegh, Kees, "The Arabic Language", Edinburgh University Press, 1997.

من أبرز معايير النضج اللغوي (Linguistic Maturity) في الخطاب الديني الرقمي أن يُعاد الاعتبار إلى السياق التداولي (Contextual Frame) عند عرض القيم والمفاهيم الكبرى، بدل الاكتفاء باستدعاء المصطلحات الدينية مجردة أو استخدام المقاطع الشعاراتية المختزلة. فـ"العدل"، و"الإحسان"، و"التقوى".... ليست ألفاظًا عائمة أو جاهزة للاستهلاك الوعظي، بل هي مفاهيم بنيوية تنتمي إلى شبكة دلالية (Semantic Network) تتشكّل ضمن السياق القرآني، وتاريخ الاستعمال الفقهي والتربوي.

وهذا ما نبّه إليه الإمام الطاهر ابن عاشور في تفسيره حين قال: "لا تُؤخذ المعاني من الألفاظ مجردة، بل من قرائن الاستعمال وأنساق المقاصد"[22]

وهو ما يتقاطع مع المفاهيم الحديثة في علم التداوليات، التي تؤكد أن المعنى لا يسكن اللفظ وحده، بل يتولد في سياق الاستعمال والتفاعل (Meaning is use-dependent، وفق نظرية Wittgenstein).

إن اختزال القيم إلى عبارات موجزة ومجتزأة في الوسائط الرقمية يفرغها من حمولتها التأويلية، ويحوّلها إلى أدوات للإثارة أو الحشد، لا للوعي والتكوين، كما سبق بيانه في المحور الأول.

لذلك، فإن من مقتضيات الرشد الاتصالي (Ethical Communication) أن تُرفق المنشورات والمقاطع الدينية دائمًا بـشروح مبسّطة، أو روابط معرفية موسعة، تعيد ربط المفهوم بسياقه النصي (Scriptural Context)، وتُفعّل حضوره في البنية المعرفية للمخاطب.

إن العودة إلى التفسير السياقي ليست ترفًا معرفيًا، بل ضرورة لحماية الخطاب القيمي من التحوير والانزياح، وضمان أن تبقى المفاهيم الإسلامية الكبرى قادرة على أداء وظائفها في التوجيه والتربية والتنوير.3. الموازنة بين التأثير والإفهام

[22] التحرير والتنوير، ج1، ص12.

يُلاحظ في كثير من المحتوى الديني الرقمي الميل إلى الخطاب الانفعالي والتأثيري، وهو ما قد يُضعف وظيفة الإفهام التي هي أساس الدعوة والتعليم. لذا، يجب إعادة الاعتبار إلى مبدأ "الإفهام أولاً، ثم الإقناع، فالتأثير"، كما أشار إلى ذلك الإمام الشاطبي في قوله: "المقصد من البيان إفهام السامع أولاً، لا التأثير فيه فقط، فإن التأثير قد يُخطئ موضعه"[23]

ويُؤكد علماء الإعلام أن الخطاب الفعّال لا يعتمد فقط على الإثارة، بل على البناء المعرفي التدريجي، الذي يُمكّن المتلقي من التمييز، والتحليل، والتفاعل الواعي[24]

3. ضبط المصطلحات الشرعية في البيئة الرقمية

يُعدّ توحيد وضبط استعمال المصطلحات الدينية من أبرز التحديات اللسانية (linguistic challenges) في الخطاب الرقمي. فكلمات مثل "الجهاد"، و"الفتنة"، و"الحاكمية"، و"الولاء والبراء"، و"الحلال والحرام" تُتداول اليوم على المنصات الرقمية خارج سياقاتها الفقهية والأصولية، ما يفتح الباب لتأويلات جزئية أو توظيفات أيديولوجية متطرفة، تُفرّغ النصوص من مقاصدها وتُلبسها ما لا تحتمل من دلالات.

وهذا ما يُحتّم ضرورة صياغة دليل اصطلاحي شرعي رقمي (Digital Terminology Guide) يُرافق كل محتوى ديني يُنشر على الإنترنت، ويُحيل إلى مرجعياته الفقهية واللغوية الأصلية، ويُعرّف المصطلحات وفق سياقاتها العقدية والتاريخية، انسجامًا مع روح الشريعة ومقاصدها.

وقد كان العلامة عبد الله بن بيه من أبرز العلماء الذين نبّهوا إلى خطورة تفلّت المفاهيم من سياقاتها الشرعية، والتعامل معها بمنطق التجزئة أو الحرفية أو التوظيف العاطفي. ففي كتابه صناعة

---

[23] الشاطبي، الموافقات، ج3، ص145.

[24] راجع: Silverblatt, Art, “Media Literacy”, Praeger, 2008.

الفتوى وفقه الأقليات، يقول: "من أخطر ما يواجه الفتوى اليوم هو توظيف المفاهيم الشرعية في غير مواضعها، وفق سياقات سياسية أو عاطفية، مما يُفقدها انضباطها الفقهي ويُشوّش على حقيقتها الشرعية"

وفي مشاهد من المقاصد، يوضح أن: "المقاصد ليست ترفًا علميًا بل شرط لفهم النص وتنزيله، فمن أنكر السياق وغيّب المقصد فقد أساء إلى الشريعة من حيث لا يدري"[25]

[25] الفتوى بين الانضباط والتسيب، ص57. وصناعة الفتوى وفقه الأقليات، ص119.

- **قائمة المراجع**

أولًا: المصادر العربية

1. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. الفوائد. تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي. دار ابن الجوزي، 2008م.
2. ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة. دار الفكر، بيروت، 2004م.
3. ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر، 1984م.
4. الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. تحقيق: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 2000م.
5. الخطيب البغدادي، أبو بكر. الكفاية في علم الرواية. تحقيق: أبو عبدالله السورقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
6. الغزالي، أبو حامد. إحياء علوم الدين. دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
7. مالك بن أنس. الموطأ. تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، 2010م.
8. مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

9. ابن بيه، عبد الله. صناعة الفتوى ومناهج الإفتاء. مركز الموطأ للدراسات، أبوظبي، 2015م.

10. ابن بيه، عبد الله. مشاهد من المقاصد. دار الفكر، أبوظبي، 2014م.

11. ابن بيه، عبد الله. فقه الواقع بين النظرية والتطبيق. دار التجديد، الرباط، 2016م.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

12. Bourdieu, Pierre. La Distinction: Critique sociale du jugement. Éditions de Minuit, 1979.

13. McLuhan, Marshall. Understanding Media: The Extensions of Man. MIT Press, 1964.

14. Postman, Neil. Amusing Ourselves to Death: Public Discourse in the Age of Show Business. Penguin Books, 1985.

15. Rahman, Fazlur. Islam and Modernity: Transformation of an Intellectual Tradition. University of Chicago Press, 1982. (ذكر للاستئناس، لم يُستخدم نصّه المباشر بعد استبداله بنصوص ابن بيه)

ثالثًا: دراسات ومراجع مساعدة

16. الجابري، محمد عابد. الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1990م.

17. الطيب، عبد السلام. اللغة والإعلام: دراسة في المفاهيم والمنهج. دار الفكر الجامعي، 2017م.

18. خليفة، أحمد. البلاغة الجديدة: من التداولية إلى التفاعلية. دار كنوز المعرفة، عمّان، 2020م.

بناءً على ذلك، فإن الخطاب الديني الصحيح في البيئة الرقمية لا يُبنى على جاذبية الأسلوب وحدها، ولا على الإلقاء المؤثر، بل على لغة مفهومية متّزنة، وسياقية، ومفسّرة، ومرتبطة بالسند الشرعي والمعرفي. ومن ثمّ فإن تطوير هذا الخطاب يتطلّب اجتهادًا مؤصّلًا، لا يُفرّط في فصاحة التراث، ولا يغفل ضرورات العصر.

الخاتمة

في خضم التحوّلات المتسارعة التي يشهدها الخطاب الديني في البيئة الرقمية، تُبرِز هذه الدراسة الحاجة الملحّة إلى إعادة بناء الوعي اللغوي والتواصلي لهذا الخطاب، بما يضمن بقاءه أمينًا لمقاصده الأصيلة، وقادرًا في الوقت ذاته على التأثير البنّاء ضمن الوسائط الحديثة. لقد كشفت التحليلات التي تمّ عرضها عبر المحاور الأربعة أن الخطاب الديني لم يتأثر فقط من حيث الشكل، بل أصاب التغيير بنيته القيمية والتفسيرية، مما يهدّد بتآكل رسالته التربوية والتزكوية، ويُضعف أثره في تشكيل الوعي العقدي والأخلاقي للمتلقين.

وقد اتّضح أن الوسيط الرقمي – بخصائصه التفاعلية والسرعة والخوارزميات – يُعيد تشكيل اللغة الدينية في اتجاهات لا تخدم دائمًا المقاصد العليا للشريعة، كما أشار لذلك كبار العلماء والمفكرين المعاصرين، ومنهم الشيخ عبد الله بن بيه. فالمعاني تُفقد حين تُسلخ من سياقها، والمصطلحات تتحوّل إلى أدوات للجدل أو التحريض حين لا تُضبط بموازين العلم والفقه. لذلك فإن حماية الخطاب الديني من الانزلاق تبدأ من الوعي باللغة، ومن تجديد أدوات التعبير، دون التفريط في المرجعية الشرعية والعقلية العلمية التي شكلت دائمًا روحه وسنده.

---

19. منصور، أحمد زكي. سيميائية الخطاب الديني المعاصر. المجلة العربية للدراسات الإعلامية، العدد 9، 2021م.ء

- **النتائج:**

1. أن الوسيط الرقمي لا ينقل الخطاب الديني فحسب، بل يعيد تشكيل لغته ووظائفه ومقاصده، وفق منطق مختلف يتطلب إعادة تأطير للأسلوب والمضمون.
2. أن الخطاب الديني الرقمي يعاني من ظواهر لغوية سلبية مثل: التكثيف المفرط، النزوح إلى العامية، ضعف الإسناد والتوثيق، وتفكك البنية الخطابية التقليدية.
3. أن طريقة تقديم القيم الدينية على المنصات الحديثة تعاني من التسطيح، والتجزيء، والتحوير، مما يفقدها عمقها التفسيري وأصالتها الشرعية.
4. أن هناك تراجعًا واضحًا في حضور البلاغة التربوية التفسيرية، مقابل تصاعد خطاب التأثير اللحظي والانفعال الجماهيري، وهو ما يضعف القدرة على بناء الوعي النقدي القيمي.
5. أن كثيرًا من المصطلحات الشرعية يجري تداولها على نحو مشوّه أو خارج سياقها، ما يستدعي تدخلًا تأصيليًا لتقنين تداولها وضبط معناها في البيئة الرقمية.

- **التوصيات:**

6. إعداد دليل لغوي–شرعي رقمي موحّد (Unified Digital Religious Lexicon)، يُعرّف المصطلحات الشرعية ويضبط استعمالها في البيئات الرقمية، ويُربط بسند علمي موثوق.
7. إعادة إحياء البلاغة التفسيرية (Hermeneutic Rhetoric) في الخطاب الديني الرقمي، مع توظيف الوسائط الحديثة في تقديمها بصورة تجمع بين الفصاحة وسهولة التلقّي.
8. تدريب الدعاة والمحتوى الديني على مهارات الإعلام الرقمي، دون التفريط في المرجعية الشرعية، من خلال ورش تخصصية في "الخطاب الوسيط" (Mediated Discourse).
9. إنشاء مرصد تفاعلي رقمي (Interactive Observatory) لرصد الانحرافات اللغوية والمفاهيمية في الخطاب الديني الرقمي، وتقديم توصيات علمية بشأنها.

10. دعم البحث العلمي في الحقول اللسانية التداولية والسيميائية، لتطوير أدوات قراءة الخطاب الديني وتحليله في ظل الوسائط المعاصرة.

11. دعم المبادرات التي تدمج بين الذكاء الاصطناعي والتحليل اللغوي، لتطوير أدوات رقمية ذكية قادرة على رصد الانزياحات غير المنضبطة في الخطاب القيمي والديني.

وبذلك، فإن مستقبل الخطاب الديني في البيئة الرقمية يتوقف على قدرتنا على التوفيق بين بلاغة النص ومقتضيات المنصّة، بين فصاحة المعنى وسرعة الوسيط، وبين أصالة المرجعية ومهارات العرض الحديث.

الحواشي: